الجامعة العثمانية

الشرق والوطن — الاتحاد والارتقاء

مجلة سياسية علمية ادبية تهذيبية

« يكون الرجال كما يريد النساء فاذا اردتم ان يكونوا »
« عظماء وفضلاء فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة »

« ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط »
« فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة »

الاسكندرية في ١٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٩ — الموافق ٧ ربيع الاول سنة ١٣١٧

باب المقالات

بهرام مالاباري

المصلح الهندي

عبرة لطالبي الاصلاح في الشرق

صدق المرحوم كرنيليوس فانديك اذ قال يوماً لمن كان يمتدح امامه تاثير الغرب على الشرق مامعناه — « ان النور الذي ادخله الغرب الى الشرق فدانحصرت فائدته في تفتيح عيون الشرقيين لرؤية الاخربة التي حولهم دون ان ينتشلهم من بينها »

ولو كان تاثير هذا النور مقصوراً على هذا الأمر لما جاز لاحد ان يشكو منه ولكن من سوء حظ الشرقيين ان هذا النور كان باعثاً على زيادة تلك الاخربة التي حولهم . فمثلهم في ذلك مثل رجل مقيم في غرفة مظلمة حالكة السواد راضياً مطمئن النفس لانه لا يرى شيئاً من الاخربة التي حوله فلما اطل عليه رجل يحمل مصباحاً من مشكاة فتحها في اعلى البيت وانبعثت انوار المصباح الى الرجل فراى ما حوله من الانقاض والعفونة والخراب اخذ يهدم جدار ذلك البيت ليخرج منه فراراً من خرابه فكان يزيد خرابه خراباً

هذا شأن الشرقيين مع دولهم في اكثر بلاد الشرق ان لم نقل كلها . فانهم لا يرون بصيص النور الاوروبي حتى يبهر ابصارهم فيقومون على حكومتهم يطلبون التشبه بالاوروبيين واصلاح امورهم بوسائل شديدة اكثرها يؤدي الى عكس الغرض الذي يقولون انهم يرمون اليه . فيقوم النزاع بينهم وبين حكوماتهم فيزداد الفريقان سوء حال على سوء حال

ولو عقل هؤلاء الشرقيون الطالبون الاصلاح تارة بالاتكال على الاجنبي واخرى بالنهوض على حكومتهم يصنعون بها ما كانت تصنعه بهم فلا يكون لهم عليها من فضل ولا مزية مع كبر دعواهم وكثرة ادعائهم — لو عقل هؤلاء وكان لهم شيء من الصبغة الفلسفية يدركون بها حقائق الامور وينظرون الى لبابها دون قشرتها لما اقدموا على خطة تضر بوطنهم وتغض من كرامة حكوماتهم وتخرجهم عن حدود واجباتهم ولصانوا قواهم التي يبذلونها في مقاومة الطبيعة نفسها ان تذهب سدى بلا جدوى ولا فائدة . اذ أية فائدة من الطعن الفاحش والسباب والافتراء والعدوان على السلطة العالية او الدانية الا الدلالة على مبلغ ادب الآخذ بهذه الاسباب الواهنة واقامة الدليل بمجرد الاخذ بها على انه غير اهل للاصلاح الذي يطلبه والحرية التي يلتمسها . ولكن لو صرفت تلك القوى الشديدة في وجه مفيد نافع كالوجه الذي صرفها فيه « بهرام مالاباري » الذي ننقل للقراء الآن ترجمة حياته لادرك طالبو الاصلاح في

الشرق امنيتهم منذ عهد بعيد رغمي الحكام ام لم يرضوا

ولكن بين الطرق التي اتخذها بهرام الى صلاح حال امته و بين الطرق التي يتخذها اليوم بعض طالبي الاصلاح في الصين وايران والدولة العثمانية والترنسفال ومراكش — ما بين الارض والسماء . فان الاولى طريقها مفروشة بالشوك والقتاد ويقتضي سلوكها فضائل باهرة ونفوس كبيرة ناشئة على فضيلة الايثار وانكار الذات والتفاني في الخدمة العامة وتضحيه المصلحة الخاصة لها . اما الثانية فطريقها هين سهل وهي امتشاق الحسام في وجه الهيئة الحاكمة كما جرى في الصين ولا يزال يجري في ايران او الفرار الى بلاد اجنبية واللعب فيها بالقلم على القرطاس طعناً على الحكومة والحكام كما يصنع بعض ابناء الدولة العثمانية

والفرق بين طريقة بهرام الشريفة وهذه الطريقة القبيحة مثل الشمس ظاهر

***

ولد بهرام مالاباري في الهند سنة ١٨٥٣ من عيلة فقيرة من طائفة اتباع زوروستر وهي طائفة منبوذة في الهند . وكان ابوه مستخدماً في احدى المكاتب التجارية الهندية براتب عشرين روبه في الشهر . ثم توفي وسن بهرام ست سنوات فانتقلت به امه الى سورات في الهند وهناك تزوجت بقريب لها يدعى مرونجي وكان رجلاً طاعناً في السن يتجر بخشب الصندل والسكر والطيوب في جهات مالابار وهي قسم من هندستان ومنه اشتق اسمه فدعي مرونجي مالاباري . فتبنى مرونجي صاحب الترجمة اذ كان بلا ولد فلقب بهرام بالمالاباري ايضاً . فاصبح مرونجي يكلف الفتى بهرام اعمالاً شاقة ومتاعب ما كان يخففها عنه الا ما يجده من حنو امه ورأفتها به وعطفها عليه

وكانت هذه تدعى بيجبياي وهي امرأة سمراء اللون ذات عينين دعجاوين لوزيهما مكحول كما يقول الشاعر العربي . وكانت ترى جميلة ولكن نفسها كانت اكثر جمالاً من وجهها . فان قلبها كان مطبوعاً على الرقة ونفسها تكاد تذوب لطفاً وحناناً . ومما اشتهرت به بين جميع نساء الهند انها اقدمت على التقاط طفل وجدته قريباً من منزلها فاحتضنته وارضعته ومعلوم ان ذلك ممنوع في عادات الهنود قبل ان يعرف اصل الطفل خوف ان يكون من نسل نجس . وكان ذلك الطفل ابناً لاحد كنامي الشوارع . فلم تبال بعادات قومها وتقاليدهم جرياً مع هوى نفسها الشريفة وحنانها الوالدي الطبيعي . فبهذه المبادىء غذت نفس فتاها بهرام صاحب الترجمة وغرست في اعماق قلبه اصول الشفقة والمحبة والرأفة بالمنكوبين والضعفاء من اي نوع كانوا من البشر . فكانت هذه المبادىء الشريفة اساس عظمته في حياته . ومن هذا المثال يعلم مبلغ تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية

ثم توفيت هذه الام الهندية الصالحة وعمر بهرام اثنتا عشرة سنة فاصبح بهرام وحيداً يتيماً اذ ان مرونجي الذي تبناه قعدت به الشيخوخة فبات نفسه حملاً على عاتق هذا الفتى الصغير. فلقي بهرام اياماً سوداء كافية الغراب الاسحم ولكن المصائب لم توهن عزمه بل زادته شدة ونشاطاً . فاخذ يتم دروسه في سورات وجعل في الوقت ذاته يعلم بعض الطلبة ما تعلمه في المدارس الهندية الوطنية او في مدارس المرسلين الايرلنديين في سورات رغبة في كسب ما يسد حاجته وحاجة مرونجي الشيخ. فاشبه في هذا جول سيمون الذي ذكرنا في ترجمة حياته انه كان في صباه يتعلم و يعلم معاً تحصيلاً لخبزه

وكانت امنية بهرام ان يدخل الى كلية بومباي فتم له ذلك في سنة ١٨٧١ وكان عمره ١٨ سنة . وكان دماغ بهرام مثاراً لافكار تتلاطم فيه تلاطم الامواج ونفسه طافحة عند افتتاحها لحلاوة الحياة بآمال عظيمة وتصورات شعرية سامية . ذلك ان بهرام كان شاعراً . وقد نظم شعراً رقيقاً اخذ معه وهو سائر في طريقه الى كلية بومباي فرأى هذا الشعر من عرف قدره فاستأذن بهرام في نشره فاذن له فنشره في داخل الهند وخارجها فنال بهرام الشهرة بواسطته وذاق طعم المجد الادبي وهو في ربيع الحياة ولكن لم يبهر نور هذا المجد عينيه لان نفسه الكبيرة كانت تسمو الى اعظم من هذه الهنات الحقيرة الصغيرة التي تحكي فقاقيع الصابون و يسمونها : المجد والشهرة وطيب الاحدوثة

كانت نفسه الكبيرة تسمو الى الامور النافعة الثابتة ولا تعبأ بهذه الامور السطحية المنقبلة التي ليست في شيء من واجبات الحياة . فلما اتم دروسه القى نظراً نقاداً فيما حوله من امور بلاده ووطنه . فهل تعلمون ما كانت تأثراته ؟

لو كانت نفس هذا الرجل صغيرة ونظره قصيراً وعقله عارياً عن الصبغة الفلسفية الواجبة لفهم امور الحياة واحتمال حلوها ومرها . خلها وخمرها . — لو كان كذلك لكانت اول حركة تحركها قلمه الذي قضى السنين في تنقيحه هجوماً شديداً على الحكومة التي تحتل الهند لانها تتخذها بقرة حلوباً وحربا عواتاً على حكام الهند لانهم مقصرون فيما يجب عليهم لبلادهم ولامتهم .

ولكن لم يكن شيء من ذلك. فقد عرف بهرام انه اذا اتخذ هذه الطريق الى الاصلاح زاد الاخربة التي حوله بدلاً من ان ينقصها وان مثله في ذلك اذا اراده مثل من يحاول تحريك قعر الاوقيانوس العميق بعصا يضرب بها سطحه. فكرهت نفسه الشريفة ان تعدو على السلطة وان تبذل قواها عبثاً بلا جدوى ولا فائدة لان الله اعطاها مواهبها امانة لبني جنسها ووطنها فيجب عليها ان لا تبذلها سدى بل ان تنفع بها ما ملكت نفعاً.

ورأى بهرام النفع في ان يصرف فكره عن الاصلاح السياسي الى اصلاح الاجتماعي لان الثاني اساس للاول. وهكذا كان

فدخل في سنة ١٨٧٦ محرراً في جريدة « ليندبين سبكتاتور » ثم بعد اربع سنوات طرأت حوادث جعلت هذه الجريدة ملكاً له فجرّد فيها قلماً امضى من الحسام فاعلى به مقام جريدته حتى جعلها في بضع سنوات صوت الشعب الهندي كله. ثم قام في نفسه ان يختبر احوال الشعب الهندي بنفسه فجعل يسوح في الهند غرباً وشرقاً مستقصياً احوال الامة الهندية ناظراً في احزانها ومسراتها قارئاً في صفحات قلوبها داخلاً قصور الكبار واكواخ الصغار مقيداً في دفتره كل ما يسمعه وينظره توصلاً الى معرفة حقيقة الوطن الذي وقف قواه على خدمته. فازداد رغبة في الاصلاح الاجتماعي الذي كان يرى في نفسه ميلاً اليه بازاء ما رآه بعينيه في طبقات الهند من الشقاء والعناء. واستلفت نظره في هذا الشقاء امر يشهد له ببعد النظر وطول مرمى الفكر

رأى النساء في الهند في حال يرثى لها من العذاب والانحطاط والشقاء. فان شريعة المنود والبراهمة تقضي عليهن بامرين فظيعين: الاول زواج الابنة في السنة العاشرة من عمرها وهي لا تزال طفلاً يرضع كما تقول العامة. والثاني الترمل الاجباري وهو بقاء الفتاة ارملة طول عمرها تحلق شعر راسها عند موت زوجها وتبكيه كل حياتها واذا تركت البكاء يوماً ضربت بخشبة على رأسها حتى تبكي ولو ان ذلك الرجل مات وهو خطيبها لا زوجها ولو انها لم تعرفه ولم تر يوماً وجهه (١). فهذا مع ما يتلوه من سوء معاملة النساء أثار نفس بهرام غيرة على الانسانية وسخطاً من ظلم الانسان وجهله فاخذ على نفسه ان يكون « رسول خلاص المراة الهندية »

ولكنه كان من طائفة اتباع زوروست كما قدمنا وهي طائفة يعتبرها المنود كافرة نجسة. فكيف لنجس الدخول بين رجال الهند ونسائهم؟ رأى بهرام هذا الخطر ولكن لم يجبن ولم يدخل الخوف قلبه فاطلق لنفسه العنان مقتحماً زوابع الجهل والتقليد والعادات والشرائع القديمة وسار في طريق هذا الاصلاح الاجتماعي لا يلوي على شيء

فقامت قيامة البراهمة والمنود عليه لان في ذلك نقض شريعتهم فكان يزداد عزماً كلما ازدادوا مقاومة ولم يدخر سعياً ولا وسعاً في سبيل نشره افكاره فمن فصول حبره. واجتماعات عقدها. وخطب القاها. وليال سهرها. وسياحات قام بها من اقصاء الهند الى اقصائها مذيعاً كلمة الشفقة والمحبة والرأفة وداعياً كرسول الانسانية الى احترام ضعف النساء واحسان معاملتهن وترقية شؤونهن. وصرف في هذا الجهاد الشريف خمس عشرة سنة حتى نفدت قواه وخانه عزمه واشرف على الهلاك فسافر من الهند الى لندرا وهو قريب من الموت ليتخذ الراي العام الانكليزي حكماً في الاصلاح الذي يطلبه. فخطب في لندرا مؤيداً مذهبه وقابل الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر وغيره من اكابر الانكليز فاقنعهم بصحة رأيه. ولم يرجع الى وطنه حتى وعدوه انهم سيجيبونه الى طلبه

وقد انجزوا وعدهم. فان الحكومة الانكليزية وضعت في السنة التالية اي سنة ١٨٩١ قراراً بشان الهند فحواه « انه لا يجوز لاية شريعة ولو كانت دينية ان يكون فيها ما يضر بالانسانية » فارتفع بذلك عن عنق المراة الهندية المسكينة نير الزواج الباكر والترمل الاجباري اللذين مر ذكرهما فصلحت بهذا القرار حال ملايين من نساء الهند والفضل في ذلك لهذا الرجل الفاضل بهرام مالا باريسي. ولا ريب ان بيخيباي الفاضلة قد اهتزّت عظامها في التراب فرحاً بصنيع ولدها.

ولا يزال هذا الرجل العظيم عاكفاً في الهند الى هذه الايام على خدمة وطنه هذه الخدمة الاجتماعية المفيدة ناصباً نفسه غوثاً للملهوفين وعوناً للمظلومين ومساعداً للضعفاء ومعزياً ومسلياً للمحزونين. لا يسمع بمصيبة حتى يطير اليها يعزي اصحابها ويساعدهم بما في استطاعته. فشا وباء الطاعون في السنة الماضية في الهند وتقدمه الجوع الهائل من قبل فحيثما ظهرت هاتان

(١) كانت الابنة منذ ولادتها تعين زوجة لفتى من جيرانها او اقربائها ومن هذا الحين ترتبط به ارتباطاً لا انفكاك له فاذا توفي الفتى وكبرت الفتاة اضطرت ان تصرف حياتها في بكائه ونديه ولو انها لا تعرفه والمظنون ان ما يسمونه في بلاد الشام (قطع صرة) الابنة حين ولادتها على فتى يتزوجها في كبرها عادة مشتقة من هذه العادة

الآفتان وجدتا وما زالتا تجدان في وجهيهما الاسودين وجه بهرام مالاباري الاصفر اللطيف محاربًا ومقاومًا للوباء ومساعدًا ومعينًا للوبوئين . الحياة لديه رخيصة اذا كان في الامر مساعدة لاخوانه ابناء وطنه . بل حياته ليست له انها لهم لذلك يخاطر بها وبكل ماتملكه يداه من اجلهم . هذا هو الانسان يا بني الانسان . هذا مثال المصلحين يا طالبي الاصلاح . بهذا الاصلاح يجب الابتداء ايها الشرقيون

***

ولكنه فيما نظن اصلاح اصعب من اللعب بالقلم على صفحات القرطاس طعنًا على الهيئة الحاكمة . . لذلك قلما تجد في بلادنا من يقدم عليه . بل لاتجد واحدًا بيننا فكر به وقام اليه . كل لاهٍ بنفسه مشغول بذاته وملذاته . الفرد موجود ولكن لا وجود للكل . اعضاء متقاطعة متناثرة كأنها ورق الخريف المنثور او رمال البحر المبعثرة على الشاطئ او ذرات الهباء المنتشرة في الهواء . هذه هي هيئتنا الشرقية . اليس غريبًا مع هذا ان لا يقوم فيها الا من يريد ان يزيدها تفرقًا وتشتتًا وانقسامًا ؟ لماذا لا يقوم فيها واحد كبهرام مالاباري مجبولة نفسه من طينة المحبة والايثار والشفقة والعظمة فيكون همزة الوصل بين العناصر المختلفة والاهواء الشاردة المتناقضة وباب فرج وامل ورجاء للطبقة التي تعاني صنوف الشقاء في اسفل هيئتنا الشرقية ؟ لماذا لا يقوم فينا رجل كهذا ؟ هل ارتفعت الانسانية في الهند اكثر منها عندنا ؟ ام لا يوجد في نسائنا واحدة كبيخيباي الفاضلة تبذر في نفس فتاها من صغره مبادىء العظمة الحقيقية ؟ ام لاحاجة للاصلاح الاجتماعي عندنا ولاداعي اليه لاننا كانا في نعيم وسعادة لا ينقصنا الا الاصلاح السياسي وكل احوالنا الاجتماعية كما يجب ان تكون . . .

الى هذا الامر الجليل والعمل العظيم نوجه انظار الذين يرغبون من ابناء الامة العثمانية في صلاح حالها رغبة حقيقية . لقد مضى الزمان الذي كانت فيه اسوار اريحا تسقط من اصوات الابواق فاصوات اقلامكم وجرائدكم لاتغني فتيلاً . اذا كانت رغبتكم في صلاح حال وطنكم رغبة خالصة فشمروا عن سواعدكم واحذوا حذو هذا الرجل : هذا بهرام امامكم .

تطلبون من الهيئة الحاكمة ان تقوم بما يجب عليها لكم ولكن هل قمتم انتم بما يجب عليكم لها ولوطنكم حتى تذكروا تقصيرها ولا تذكروا تقصيركم ؟ اين انتم من المدارس تنشئونها والشركات الاقتصادية تؤلفونها ؟ اين ماعانيتموه من العناء في الخدمة العامة وصنع الخير المجرد ؟ هل اعطيتم يومًا ساعة من ساعات راحتكم ولذاتكم لذلك البائس المسكين المنطرح على بلاط الاسواق ؟ هل ايتم العلماء فنشطتموهم وساعدتموهم وبحثتم عن الساقطات والساقطين فانهضتموهم ؟ هل فتشتم عن الفضيلة فرفعتموها والمظلومين فساعدتموهم مساعدة بالفعل لا بالقول ؟ بل مالنا وهذه الفضائل الاجتماعية الايجابية فانها ثقيلة صعبة خذوا الفضائل السلبية . هل اجتنبتم في حياتكم كل رذيلة وشر وضر حتى تطلبوا من حكامكم ان يكونوا منزهين عن كل رذيلة وشر وضر ؟ انتم من الامة والامة منكم . اذا صلح شأنكم صلح شأنها ولا يكون لكل امة الا الحكومة التي تستحقها . فرجاؤنا منكم حين ذكركم واجبات الحكام ان تذكروا ايضًا واجباتكم

اما انت ايتها المرأة الفاضلة التي اعطيت الهند هذا المصلح العظيم « بهرام مالاباري » فليت جميع نساء الشرق يذكرن مثالك . مباركة انت ومباركة ثمرة احشائك

استحضار الارواح

العجائب الحديثة

المراد باستحضار الارواح علم حديث نشأ في اوروبا منذ ٣٠ سنة وكان له شأن عظيم فيها . ومقتضاه ان صاحب هذا العلم يستحضر ارواح الاشخاص الذين تطلبهم سواء كان هؤلاء الاشخاص من الموتى او غائبين في بلاد بعيدة او قريبة . فاذا طلبت روح ابيك او روح امك او روح صديق ميت او غائب عنك استحضرها الرجل لك فترى بعينيك اباك وامك او صديقك منتصبًا امامك كما ترى الخيال وهذا من الغرابة باعظم مكان

وطريقة هذا الاستحضار قوة نفس المستحضر وقوة ارادته . ويسمون المستحضر «واسطة» ويريدون واسطة بين الارواح والاجسام يجعلها ترى بعضها بعضًا بقوة في نفسه . وهذا العلم لا يؤخذ في مدرسة بل يجب ان يكون في نفس الانسان قوة فوق العادة حتى يصح ان يكون « واسطة » . ومن اشهر الذين قاموا في اوروبا من اربابه هوسك وفولر وكولمان وافيريت وا كلينتون وهو اشهرهم

اما طريقتهم في استحضار الارواح فهي كما يأتي :

يقيم « الواسطة » وهو المستحضر مع المشاهدين في غرفة ينيرها مصباح فيخفض النور حتى يصل الى حد النور الازرق ويكون نصف ظلام فيجلس الحاضرون ويبدأ الواسطة حينئذ بعمله . فيخطر ذهابًا وايابًا في الغرفة بنزق وحدة وتتهيج اعصابه فيصفق

يديه ويلويها بغضب ويرفس برجليه ثم يقف على حين فجأة مشتبك الذراعين على الصدر ويبقى جامداً جمود الصنم . فتظهر حينئذ على ملابس المستحضر بقع نيرة بيضاء وتاخذ بالاجتماع على صدره . ومتى تم اجتماعها اخذت تتدلى وتهبط الى الارض كالدخان الثقيل حتى اذا بلغت الارض تحركت وتكاثفت واخذت بالارتفاع . كل ذلك والرجل جامد جمود الصنم . ولا يزال هذا الدخان صاعداً حتى يعلو رأس الرجل فيصيح هذا حينئذ صيحة عظيمة ويسقط على الارض بقوة شديدة ويلبث منطرحاً عليها كمن فقد الحياة . اما الدخان النير فيتجسم ويتخذ هيئة القريب او الصديق الذي تريد مشاهدته . وهو يسير امامك ويتكلم وينظر اليك ويتبسم مما يدهش العقول ويحير الافكار . واحيانا تطول مدة ظهور الروح فتخرج روح المستحضر نفسه وتتجسم وتقف بازاء الروح الحاضرة

وقد انقسم الناس في اوروبا الى ثلاثة اقسام في حكمهم على هذه الامور المدهشة . فبعض رجال الدين قالوا انها من صنع الابالسة والشياطين . وبعض رجال العلم كذبوها من غير ان يفحصوها . وبعض آخر منهم فحصوها فقالوا انه لا يبعد ان يكون في نفس الانسان قوة عجيبة غريبة نجهلها الآن وهي التي تصنع هذه العجائب . ولا ريب ان العلماء يسقطون حجة القسم الاول فلا يبقى لديهم الا حجة القسمين الآخرين اي غش المستحضرين للناس وقوة عجيبة في النفوس

ولكن ما كل الناس يمكن غشهم وانطلاء هذا المحال عليهم . فان في جملة الذين فحصوا استحضار الارواح علماء وفلاسفة من اكابر رجال العلم والفلسفة فدهشوا وحارت عقولهم مما شاهدوا باعينهم . فقد كان الواحد منهم يرى اباه امامه يكلمه ويبسم له مع انه توفي منذ سنوات . وقد عثرنا في المجلة البارزية على شهادة احدهم وهو المسيو جام تيسو الكاتب والمصور الفرنسوي الشهير وهو ذو مكانة رفيعة في بلاده ورأي يحترم فيها فاحببنا نقلها للقراء

وقد شهد هذا الثقة شهادة من رأى بعينه ولمس بيده . فانه طلب يوماً من اكلينتون الانكليزي مستحضر الارواح الشهير ان يستحضر له فتاة تدعى كاتي كينغ توفيت منذ سنوات وكان المصور يعرفها ويصورها كثيراً . فاستحضرها له اكلينتون في اجتماع عقده في منزله في لندره في ٤ مايو سنة ١٨٩٤ واليك شهادة المسيو تيسو بهذا الصدد . قال ما خلاصته .

قمنا بعد العشاء وجلسنا في قاعة مظلمة وجلس اكلينتون في كرسي وراء كرسيّ . فما لبث ان اخذ بعمله فصار يخطر ذهاباً واياباً ويصفق بيديه بحدة ونزق ونحن نتحادث بمواضيع مختلفة محادثة اعتيادية لئلا يؤثر انتظارنا وقلقنا عند سكوتنا على روح كاتي فلا تحضر بيننا . وبعد برهة سمعت صوتا يقول ظهرت كاتي فالتفت لا اراها في الظلام فرأيت نوراً غاب اول ما التفت اليه . فقيل لي انها هربت لاني نظرت اليها قبل ان يتكامل ظهورها . فرجعنا الى حديثنا ونحن على حذر من الانتظار . فسمعت بعد هنيهة احد الحاضرين يقول هاهي قد ظهرت . فوجهت نظري الى جهتها فرأيت شبحاً منتصباً امامي عليه هيئة كاتي وسحنتها ولكنها كانت اصغر مما اعلمت ان اصورها . فقيل لي ان ظهورها لم يكمل بعد . فعدنا الى الحديث ثم التفت اليها بعد قليل فرأيت منظراً مدهشاً

رأيت كاتي بعينها واقفة امامي مجللة الجسم بغطاء من فرقها الى قدميها . الوجه وجهها والعنق عنقها والفم فمها وعليه ابتسامة احلى من الابتسامة التي اعتدت ان اصورها بها . ثم ظهر بازائها روح شخص آخر هو رجل تحيط بها ذراعه كانه دليلها ومرشدها . فلبثت ناظراً الى هذا المنظر المدهش . واذا بكاتي اتجهت صوبي وهي تبتسم ثم انحنت اليّ وقبلتني في فمي . فشعرت بنشرة كنشرة طفل صغير مست شفتي . ثم قبلتني مرة اخرى وعادت فغابت عنا . هذا الذي رأيته بعيني »

نعم هذا الذي رآه المسيو تيسو بعينه وكتبه في المجلة البارزية بقلمه ووقع عليه بتوقيعه . وسنذكر آراء غيره من رجال العلم والنقد بهذا الشان في الاجزاء التالية

فضائل العرب

١

قبل الاسلام كانت العرب قبائل منتشرة في بلاد العرب وما يليها دأبها التنافر والتقاطع وشن الغارة بعضها على بعض . وليس هذا بغريب فان هذه القبائل نشأت في البداوة محصورة في اراض ضيقة متجاورة قليلة الزرع والضرع فلم يكن بد من تزاحمها وتقاطعها تنازعاً للبقاء وتهافتاً على ما بين ايديها من الرزق . وانما الغريب ان تكون ارضها القاحلة وشمسها المحرقة قد اوحت اليها وهي في طور البداوة من الفضائل وطيبات الاخلاق ما يقف عنده كل مؤرخ منصف حائراً مبهوتاً

تامل امة ناشئة في البداوة لا مدنية لديها ولا علم ولا معرفة

وفي اخلاقها مع ذلك من الفضائل ما ندر وجوده حتى في الامم ذوات المدنية والعلم والمعرفة . فمن اين اتتها هذه الفضائل ولم تتلقنها من معلم ولم تدرسها في مدرسة؟ بلى تلقنتها من معلم وهو الفطرة ودرستها في مدرسة هي الطبيعة وما اكبر هذه المدرسة واعظمها واسمى دروسها فان كل ما فيها عظيم وجليل اللهم اذا لم يمد اليه الانسان يداً فيفسد صلاحه ويغير طبيعته

وقد احببنا ان نذكر في هذا الفصل بعضاً من تلك الفضائل العربية البدوية التي فاح طيبها قبل اتمام الله نعمته على الامة العربية بجمع شتاتها وتوحيد كلمتها تحت لواء الاسلام تمهيداً لبحث بليغ ونؤيد كل فضيلة منها بحادثة تاريخية اتماماً للفائدة فنقول

الاباء وحب الاستقلال — هذا هو الخلق الاكبر للعرب قبل الاسلام ولكن ليس لهم فيه كبير فضل فانهم امة بدوية والبداوة والحرية صنوان لا يفترقان . ونذكر تاييداً لهذه الفضيلة حادثة عمرو بن كلثوم التغلبي التي جرت له مع عمرو ابن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة . فان هذا الملك قال يوماً لجلسائه فيما رواه ابن الاثير « هل تعلمون ان احداً من العرب من اهل مملكتي يانف ان تخدم امه امي » قالوا ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت عمرو بن المنذر على ما في نفسه . ثم صنع طعاماً دعا اليه وجوه مملكته وارسل يستزير عمرو بن كلثوم ويطلب منه ان يصطحب امه لتزورام نفسه . وقال عمرو بن المنذر لامه « اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فتحي خدمك عنك واستخدمي ليلى ام عمرو بن كلثوم وعريها ان تناولك الشيء بعد الشيء » ففعلت ام عمرو بن المنذر ما امرها به ابنها وقالت لليلى عندما اتى الطرف ناوليني ذلك الطبق فقالت ليلى بالباء « فلتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فالحت عليها فنادت ليلى « واذلاه يا آل تغلب » فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه فثار الى سيف الملك وهو معلق في السرادق وضربه به فقتله

فاين تهافت المحكومين في هذا الزمان على تقبيل ايدي الحكام ومرغ جباههم بتراب اقدامهم من عزة نفس هذا البدوي الذي لا يطيق ان تخدم امه ام ملكه . اليس بين نفس هذا البدوي وبين نفس الحضري في هذا الزمان ما بين الارض والسماء

واذا تركنا تصاغر النفوس لدي الحكام واجلنا النظر في تلك النفوس البشرية التي تداس باقدام الاستخدام في المكاتب التجارية والمعامل والحوانيت وغيرها حيث يكون المستخدم سيداً والخادم مسوداً . حيث يكون الثاني آلة صماء بلا ارادة ولا حرية . تتحرك وتروح وتجيء طبقاً لارادة الاول — اذا رأينا ذلك لا يسعنا الا امتداح تلك البداوة التي تطلق النفس وتبقي لها حريتها التي اعطاها اياها الخالق سبحانه وتعالى وشجو هذا التمدن الذي يجعل بعض البشر لبعض خداماً وعبيداً

الشجاعة والاقدام — ومن اخص فضائل العرب الشجاعة والاقدام وهي فضيلة عرفوا بها وعرفت بهم . روي في حرب بعاث وهو يوم بين الاوس والخزرج ان قبيلة الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين وكان قائدهم حضير الكتائب ابن سماك والد اسيد بن حضير . فلما رأى انهزامهم عظم عليه الامر فطعن قدمه بسنان رمحه وارتمى على الارض صائحاً « واعقراه واعقراه كعقر الجمل والله لا اعود حتى اقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني ففعلوا » فعطفوا عليه وقاتلوا مستبسلين حتى انتصروا على اعدائهم . وكان نصرهم باقدام قائدهم

ويقرب من هذا ما جرى لنابوليون الاول في واقعة اوسترليتس فان النصر ابطأ على جنوده في هذه المعركة والنمساويون تحاربوه كثير عديدهم والجو متلبد بالغيوم السوداء . ثم انقشع السحاب واظهرت الشمس حاجبها والجنود في اشد قتال . فمد نابوليون اصبعه الى الشمس وصاح بجنوده « ايها الجنود هذه شمس اوسترليتس » يريد شمس المجد والنصر فكر الجنود كرة رجل واحد فدحروا اعداءهم وفازوا فوزاً مبيناً

الوفاء — واشتهرت العرب بالوفاء . ولا يذكر الوفاء في تاريخ العرب الا وتذكر معه حادثة السموأل . فان امرأ القيس استودعه مائة درع فاتاه الحرث بن ابي شمر الغساني يغتصبها فلم يعطه اياها فاخذ الحرث ابناً للسموأل وقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فابى السموأل ان يسلمه شيئاً فقتل ابنه وفي ذلك يقول الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
اذ سامه خطتي خسف فقال له قل ما تشاء فاني سامع حار
فقال غدر وثكل انت بينهما فاختر فما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له اقتل اسيرك اني مانع جاري

وهنا نقول ما قاله فلوطرخوس المؤرخ اليوناني في بروتوس الروماني الذي امر بقتل ولديه لخيانتهما جمهورية رومة . قال هذا المؤرخ « لا نعلم هل نذم الأب القاسي ام نمدح الرجل الذي وفى وقام بواجباته »

الفطنة والذكاء — وهما من اخص صفاتهم الطبيعية .
وقد روى ابن الاثير في جملة ما رواه حادثتين تدلان على ذكاء متوقد الاولى حدثت في يوم شعب جبلة والثانية في يوم الوقيط ونكتفي بذكر الاولى . وهي ان لقيط بن زرارة استنفر بني اسد وغطفان وغيرهم وسار بهم لغزو بني عامر بن صعصعة وبني عبس حلفائهم للاخذ بثار اخيه معبد بن زرارة الذي مات اسيراً عند بني عامر . فوجدوا في طريقهم كرب بن صفوان وكان صديقاً لبني عامر وبني عبس فتعلق به لقيط ولم يتركه حتى حلف انه لا يخبر القوم بزحف اعدائهم اليهم . فكبر هذا الامر على كرب وحتى لايحنث بيمينه دنا من عامر فاخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكاً وتراباً وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة احجار سود ثم رمى بها حيث يسقون . فلما وجدوها تشاوروا بشأنها فقال قيس بن زهير العبسي ذو الرأي الاصيل « هذا من صنع الله لنا . هذا رجل قد اخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فأخبركم ان اعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهي رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زراره واما الاحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم اليها فكونوا على حذر » وكان ذلك نفس ما اراده صانع الصرّة فتامل . لاجرم ان القارىء معذور اذا شك في صحة هذه الحادثة

وقس على ما ذكر مالم يذكر من فضائل البلاغة والفصاحة والسخاء والايثار وحمي الذمار والبر بالوالدين وشرف القول والشهامة والنخوة وسائر الفضائل التي تنبت في الخلاء يمنعنا من الافاضة فيها ضيق المقام فلننظر في البحث الثاني

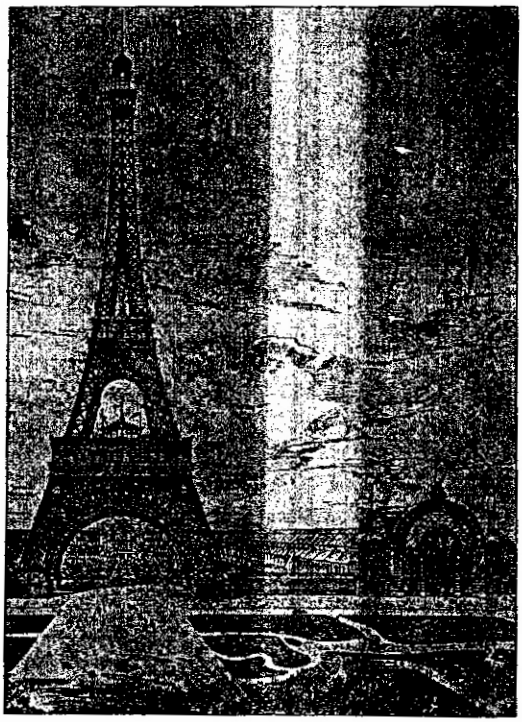

برج ايفل الشهير في باريز

ليفريه العالم الفلكي الفرنساوي
ولد في مدينة سان لو سنة ١٨١١ وعين سنة ١٨٧٧ مديرًا لمرصد باريز
وتوفي في ٢٧ يونيو سنة ١٨٨٩ فاقيم له تمثال في المرصد المذكور قام بنفقته
زملاؤه العلماء في جميع اقطار العالم المتمدن

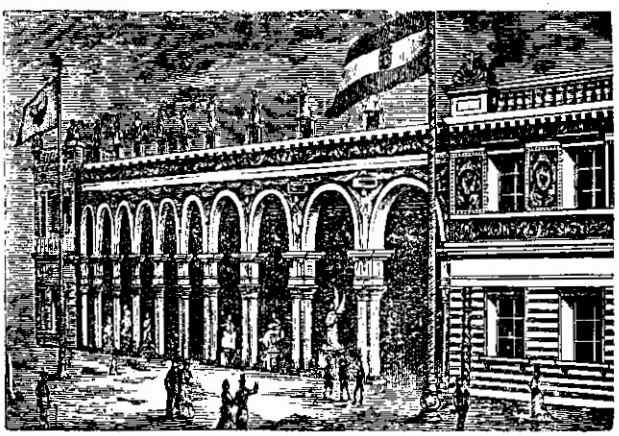

رسم الرواق الخارجي لقصر اللوفر في باريز